العرب
الإثنين 2021/11/22
السنة 44 العدد 12248

رزكار فقي عولا يحزم ريشه ويمضي إلى ضوء أكثر إشراقا

الفنان العراقي الكردي كان يرسم وكأنه يستكمل حلمه الأخير بألوان راقصة

كان يعرف تماما كيف يحافظ على حقوله اللونية حتى تثمر

بعد مسيرة تشكيلية حافلة بالألوان رسّاما ومدرّسا خطفت جائحة كورونا الفنان التشكيلي العراقي الكردي رزكار فقي عولا عن عمر يناهز سبعة وخمسين عاما، تاركا ألوانه الراقصة وحيدة وما هي بوحيدة، طالما له أحباء عاشقون لضوئه الوضّاء وأجيال تتلمذت على وقع ريشه الضاج بالحياة.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

في السابع عشر من نوفمبر الجاري وفي مدينة أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق غادرنا الفنان التشكيلي رزكار فقي عولا كضحية أخرى من ضحايا جائحة كورونا عن عمر يناهز سبعة وخمسين عاما (1964 – 2021).

فلسفة عولا اللونية تحوّلت إلى تشكيلات تجريدية تُطيع أوامره ومشاعره ومواقفه حين تخضع لمساءلاته

كان خطاطا وكتب الشعر، قدّم أكثر من عشرة معارض فردية، وشارك في الكثير من المعارض الجماعية في كل من أربيل ودهوك والسليمانية وروانـدوز وبغداد وإيران وسوريا وألمانيا وبريطانيا... إلخ، كما عمل أستاذا في معهد الفنون الجميلة بأربيل.

رزكار فقي عولا كان يجعل للفن فتنته، ويوقظه من روحه لئلا يجزم الرحيل قبله، يروّض الألوان لتلوّن كما يشاء هو روحه وروح المكان على مدار الكلام، فهو يتحرّك في رحابها برؤية بيانية علّه يبني عليها خطابه مأخوذا بالجدّة ومفتونا بها في غاية الدقّة، وكأنه ينجز عشقه وهواه، كأنه يحقّق رغبته في احتوائها، فلا سبيل أمامه ليتجنّب البسيط والطيب، فيطارد الفتنة لإبراز قيمها الفنية حتى تفي بحاجاته.

ومن منطق الإيمان بالألوان وبقدرتها على إنشاد النشيد مهما كانت محاطة بخصال مفعولة بها، يمارس عليها نوعا من انفتاحه على دروبها منذ لحظة حلولها في فضاءاته، لا تخذله ريشته حين يلوذ بها ليرتادا معا تلك الدروب وتلك الفضاءات علهما ينتشلان منها ما هو طافح بالاندفاعات والحياة، طافح بالحسّ الإنساني والجمالي، ما يضعه في حضرة خيال نشط يرتقي به وبتفكيره، وبشعوره بوصفه تجديدا لطاقاته وتجسيدا لقيمه المعرفية والجمالية.

وهو الذي كان في ضوء تقبله للبدء في رؤية احتمالات مفتوحة لمعايشة أبعاد جديدة من الموضوعات الفنية، وبإمكانات جديدة في مناطق جديدة من العمل الفني من الأهمية بمكان أن يكشف العلاقات القائمة بين مفرداتها وفقا لمنطق الضرورة اللاّموضوعية التي تنسجم مع دوافعه الصارمة، وهي تسبر مساراته مفعما بها وبنفسه التي بقيت أمينة لعمليات تشكّل عوالمه الداخلية ولحركاتها المرسومة بصدق بغية التعرّف على تفاصيلها بكل مفاتيحها.

رزكار –وبدرجة كافية من التجريب– يسرد تجريدياته اللونية، تسوده رغبة كبيرة في الوصول إلى حالة من التشبّع، إن كان عبر عدد من عوالم الألفة بينه وبينها، أو عبر حالة تجعل منها، أي تجريدياته، في امتزاج بشكل تكاملي موزّعة على فترات متقاربة حتى يزيد من عوالم الألفة بينها.

وهذا ما يزيد من عوالم الرغبة لدى متلقيه في التعرّض لها واكتشافها من جديد والاستمتاع بها جماليا، ويسترسل بها، فما ينبعث منها كاف للإشارة إلى روعة أسلوبه واتفاقها مع وسائله التعبيرية في إبراز رؤيته وقيمها التي ستيسّر عملية الاقتراب منها والتعرّف عليها والتواصل معها وفهمها أو التخاطب حولها.

خبرات رزكار فقي عولا لا تقف عند مجال التخييل ورفع مستوياته، بل تعزّز شعور متلقيه أيضا بالاستمتاع وإيقاظ أحلامه النائمة في التخوم، فهو الذي كان يؤكّد أن عدم واقعية عالمه الخيالي له آثاره المهمة في تكنيك فنه، وأن أنشطته وخبراته الفريدة والخاصة في دمج أو صهر الواقع الداخلي بواقعه الخارجي تتّسم بالحيوية والتلقائية، وعلى نحو خاص حين تبدأ ذكرياته القديمة بالانبعاث، ولا تحجب أطروحاته الفنية الخاصة التي تجمع بين اللون وحالاته وهو يسترد وهجه وعنفه، أو ابتسامته ورقتها، فالجمع بين الشيء ونقيضه هو من مواصفات العمل الفني حسب تعبير فرويد.

وهذا الاهتمام الكبير الذي كان يجسّده رزكار بخلطات ألوانه نابع من بهجته الانفعالية كقيمة فنية وكقطب جمالي نحو تحقيق حاجات تعبيرية له ولمتلقيه معا، دون الوقوف عند حدود العمل الفني الفردي، وذلك من خلال مادتها الخاصة أو لغتها أو من خلال بنياتها وعلاقاتها الداخلية التي تجعله يكتسب قيمة جمالية متحقّقة من اللعب الخاص بالضوء واللون.

قيمة جمالية تجعله يكتسب قيمة معرفية أيضا حين يعطي كل الأهمية للاشعور وجوانبه السلوكية، فما يثيره رزكار جماليا من خلال أعماله التي يحيطها بنغمات جميلة وممتعة له ولنا بصريا يجعل منها معزوفات موسيقية تعمل على تنشيط منابع خياله، مع تحفيز كبير لعمليات الخلق وهذا ما كان يجعله في حالة متميّزة من النشاط الدائم والتي تدعو إلى التأمّل الطويل.

رزكار فقي عولا يعرف تماما كيف يحافظ على حقوله اللونية حتى تُثمر، وهو على دراية تامة بكل أسرارها، تلك الأسرار التي لا تمنح مفاتيحها إلاّ لمن كان عاشقا لها وملهما بتفاصيلها، محبا لحديثها، ساعيا إلى الإقامة فيها، ليس على أساس من التعالي بل على أساس من الحسّ المشترك واللغة المشتركة، حينها سوف ينكشف كل منهما للآخر على أنه الأجمل.

هذه الفلسفة التي سعى الفنان لخلقها وقطفها هي ذاتها التي جعلته يعتمد في إظهارها على إحالاته الذاتية التي تحوّلت إلى وقائع لونية وتشكيلات تجريدية تُطيع أوامره ومشاعره ومواقفه حين تخضع لمساءلاته، فهو لا يفقد الأسس التي تؤنسن لغته اللونية، ولا يهدرها وراء عزل أو وصف بنيات تجربته، أو وراء ما يهدف منها، بل يؤصّل الأسس التي تجعله مستديما في طريق بحثه؛ الأسس الضرورية التي تجعل من مشروع بحثه حقيقة معرفية وجمالية محكومة بالنجاح، والتي أظهرت بوادرها من انتقاله من حقول واقعية تعبيرية إلى حقول تجريدية تذهب بك إلى الحد الأقصى من الإحساس الجمالي.

لوحات تُقرأ بأكثر من اتجاه

السوري خلدون الأحمد يُوازن إيقاعيا بين التجريد ورشاقة الحرف العربي

حلب (سوريا) - بهدف إبراز جمالية الحرف العربي يعمل الفنان التشكيلي السوري خلدون الأحمد في التكوينات الحروفية بعد دراسة حول كيفية صياغة الحرف ضمن التشكيل واللون والإيقاع الشرقي لما في الخط العربي من ليونة وطواعية في الرسم.

والأحمد الذي درس الفن دراسة خاصة عبر مركز فتحي محمد للفنون التشكيلية في مدينة حلب كان ميالا في بداياته للرسم الواقعي ثم التعبيري، لتستهويه بعدها المدرسة التجريدية بمختلف تجلياتها ومنها انطلق إلى الفن الحروفي، لأنه استطاع من خلاله تجسيد علاقة الحرف باللون والموسيقى بشكل تجريدي.

ويقول الأحمد "بات الحرف العربي محور جل لوحاتي التشكيلية وطوّرت فكرة تشكيله بإضافة تكوينات لونية لإبراز مفاتنه وجماله لكونه يجسّد لغتنا التي نعتزّ ونفتخر بها".

ويؤكّد الحروفي السوري (من مواليد حلب في العام 1967) أنه درس الكثير حول تكوين الحرف العربي وسكونه وحركاته وإيقاعاته وعلاقته مع اللون، حتى استطاع تشكيله ضمن لوحات حروفية تجسّد لغة بصرية تشكيلية فريدة بإيقاع شرقي.

ويقول الأحمد عن تجربته الحروفية "أنا لست خطاطا، وإنما أرسم الحرف جماليا ضمن العمل التشكيلي وعبر المنسوج اللوني من ألوان الفرح والحب والجمال والتي جسّدت أبجديتنا العربية بأسلوب مميّز".

ويهدف الفنان السوري عبر معارضه إلى نشر جماليات الحرف العربي بين الأجيال الشابة، راصدا جماله مع السعي إلى توظيفه تشكيليا ضمن إيقاع اللون على المساحة البيضاء، مبيّنا أنه ما انفك يشتغل على تكوينات ترتقي لمكانة الحرف العربي من خلال حركة إيقاع خاصة بالحرف، ليخرج عن جو الخط التقليدي ويرصد جملا تشكيلية في مفردات الحرف العربي وجماله ضمن إيقاع موسيقي سيمفوني.

وتمكّن الأحمد في لوحاته من منح الأحرف أشكالا بأبعاد ثلاثية فيها المتعة والحكمة والعبرة ممزوجة بأجواء تجريدية، محقّقا المعادلة الصعبة في توازنه بين التشكيل ورشاقة الحرف العربي.

وهو في ذلك يقول "الأجواء التجريدية باللون من خلال علاقة اللون مع الحرف، تُعطي حضورا للحرف بحيث يتواجد على سطح العمل مع متممات اللون، ومن هناك أعمل على جماليات وإيقاع الحرف وأعطيه انسيابية وتقنية خاصة بتكوين الحرف وعلاقة الحروف ببعضها البعض، لتُفرز عملا تشكيليا ذا منحى فسيفسائي رشيق يتماشى مع جمالية الحرف العربي".

وحول جمعه بين توازن التشكيل ورشاقة الحرف العربي، يقول "أي فنان يضع منذ بدايات مشواره الفني مفردة يعمل عليها مهما كانت مدرسته التشكيلية، ليكوّن ملامح شخصيته منها، وأنا استهواني إلى درجة العشق الحرف العربي، اشتغلته كحرف كإيقاع وكتكوين جمالي مع سطح اللوحة يتماشى مع اللون، ليشكّلا معا حالة غنائية جميلة تربط اللون مع الحرف ضمن تشكيل إيقاعي".

ويواصل "دائما التجربة المقدّمة تسبقها صناعة للغة تشكيلية بصرية، في مرسمي أعدّ الكثير من الدراسات التي هي بالأساس مشروع لأعمال فنية، لكنني أسميها دراسات لأنها ستصبح عملا زيتيا في المستقبل، أصنع منها تكوينا يشبهني وطالما تمنيت لو كنت خطاطا قبل أن أكون رساما، لأن الخط العربي جميل بتكوينه وحركاته أعطيه من خلال لوحاتي حضورا تشكيليا يتناسب مع الفن والحالة التشكيلية".

ويقرّ الفنان السوري أنه حين ينطلق أحيانا في الرسم لا يعرف إلى أين يأخذه الحرف ولا إلى أين سيوصله، فيشكّله كلوحة تشكيلية لا تخضع لقاعدة الخط بل لحركته وتكوينه، ويقول "ما يزيد عن السنتين وأنا أعمل بجد على موضوع الحرف، صمّمت أكثر من مئتي دراسة تكفي لإقامة ثلاثة معارض جميعها تركّزت حول إظهار علاقة الحرف مع اللون والتكوين ومع الإيقاع الموسيقي والغنائي والفلسفي والطبيعي والجمالي للحرف، أتعامل معه كفن وحالة تشكيلية لونية".

وحول توظيف اللون وإظهاره كمدلول حكائي يدعم سردية اللوحة، يقول "عادة ما تفرض الألوان نفسها على العمل بناء على تصوّر مسبق في ذهني للمشهد التشكيلي، والعمل الفني التشكيلي يحتاج إلى الراحة والتنفس ويخضع للجواب والقرار كالسلم الموسيقي، هناك حوار لوني في العمل، فاللون يدخل في تفاصيل الحرف ويعطيه جمالية وحضورا تكوينيا، وفي العديد من المرات، وبعد أن أنهي لوحتي أجده ثقيلا لونيا ولا أجد نفسي فيه، أو أرى أن اللون طغى على الحرف، أعود من جديد وأغيّر الألوان وأستخدم بعض الألوان كعلامة فارقة وكسر الألوان الباردة بالألوان الحارة".

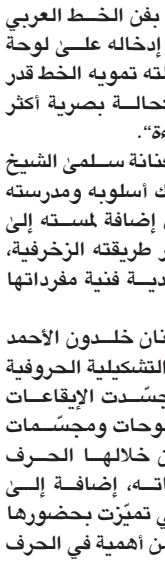

خلدون الأحمد

العمل الفني التشكيلي يخضع للجواب والقرار كالسلّم الموسيقي

ويعترف الأحمد أن الحرف هو البطل الأول للوحاته، موضّحا "الأحرف العربية كالواو والياء والقاف فيها حميمية فلسفية جميلة تذكّرني انحناءاتها بأبواب بيوتنا القديمة والقباب والأقواس والقناطر، تفاصيل حاراتنا وتراثنا وتاريخنا بكل ما فيه من مخزون وموروث ثقافي، هذا الانحناء في الحرف يعني الانحناء في المكان والأشخاص على حدّ سواء، وأنا كفنان أحمل مسؤولية كبيرة في الحفاظ على هذا التراث وحفظ هويتنا الشرقية الموغلة في القدم والأصالة، كل عمل يلامس بيئتي بحروفها ولونها هو بمثابة بناء بيت وزرع للياسمين".

وعن تجربة الأحمد يقول الفنان التشكيلي السوري بشار برازي "الأحمد متجدّد في لوحاته، فهو يستفيد من الخط كلوحة تشكيلية أكثر من كونها خطا عربيا مقروءا، مع تركيزه على موضوع النقطة بأعماله بدلالتها في الفن.. وهو من الفنانين الذين أجادوا بفن الخط العربي عن طريق إدخاله على لوحة تشكيلية ومحاولته تمويه الخط قدر الإمكان لتوظيفه كحالة بصرية أكثر من كونه دلالة مقروءة".

وبدورها ترى الفنانة سلمى الشيخ حمو أن الأحمد يملك أسلوبه ومدرسته الخاصة، من خلال إضافة لمسته إلى الفن السريالي عبر طريقته الزخرفية، مقدّما لوحات تجريدية فنية مفرداتها الحرف العربي.

وفي رصيد الفنان خلدون الأحمد الكثير من اللوحات التشكيلية الحروفية والمعارض التي جسّدت الإيقاعات الحروفية ضمن لوحات ومجسّمات نفذّها وطوّر من خلالها الحرف التشكيلي وجمالياته، إضافة إلى لوحات النقطة التي تميّزت بحضورها في معارضه لما لها من أهمية في الحرف العربي.

والأحمد الذي اتّخذ لنفسه منهجا تشكيليا فريدا ومميّزا في الأبجدية بخصوصيتها وقيمتها الثمينة يستعير ألوان الطبيعة المحيطة لإضفاء لمسات شرقية على اللوحات، باحثا عن كل ما هو مميّز في لغة الضاد لتقديمه إلى عالم التشكيل برؤى حداثية مُبتكرة.

تعامل حميمي مع لغة الضاد برؤى حداثية

انحناءات حروفية أشبه بقباب وأقواس وقناطر